تفسير إبن كثير

وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ

وقوله : (وأن ألق عصاك) أي : التي في يدك . كما قرره على ذلك في قوله : (وما تلك بيمينك ياموسى قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى) [طه : 17 ، 18] . والمعنى : أما هذه عصاك التي تعرفها ألقها (فألقاها فإذا هي حية تسعى) فعرف وتحقق أن الذي يخاطبه ويكلمه هو الذي يقول للشيء : كن ، فيكون . كما تقدم بيان ذلك في سورة " طه " .وقال هاهنا : (فلما رآها تهتز) أي : تضطرب (كأنها جان) أي : في حركتها السريعة مع عظم خلق قوائمها واتساع فمها ، واصطكاك أنيابها وأضراسها ، بحيث لا تمر بصخرة إلا ابتلعتها ، فتنحدر في فيها تتقعقع ، كأنها حادرة في واد . فعند ذلك (ولى مدبرا ولم يعقب) أي : ولم يكن يلتفت ; لأن طبع البشرية ينفر من ذلك . فلما قال الله له : (يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين) ، رجع فوقف في مقامه الأول .